

الفصل الثاني طرق معرفة أهلية الراوي

لما كانت أهلية الراوي شرطا في قبول خبره، توقف ذلك على البحث عن أحوال الرواة، والتأكد من صلاحيتهم؛ للأخذ عنهم وضد ذلك. وكان هذا مما حمل علماء الحديث على نقد الرواة، والتنقيب عن أحوالهم وخفايا أمورهم، والإفصاح بما فيهم من العيوب التي تسبب عدم الثقة بأخبارهم، من باب النصيحة للأمة. وهذا ما يعرف بعلم الجرح والتعديل قد ألف فيه يحيى بن معين والبخاري وابن أبي حاتم وغيره مؤلفات مطبوعة مشهورة. ثم إن من الرواة من تعرف عدالته بالشهرة، واستفاضة فضله وعلمه بين الناس فلا يحتاج إلى البحث عنه، أو طلب التزكية له، كمالك والثوري وشعبة والأوزاعي والليث والزهري ونحوهم من جهابذة العلماء، فإن ما اشتهروا به من نشر السنة، والذب عنها، والاحتياط في قبولها أعظم من تزكية أهل الجرح والتعديل لبعض الرواة، مع ما يجوز على المزكي من المحاباة والأغراض الداعية إلى وصفه بغير ما يستحقه. وقد سُئِلَ ابن معين عن أبي عبيد فقال: مثلي يُسأل عن أبي عبيد؟ أبو عبيد يسأل عن الناس. أبو عبيد هو القاسم بن سلام صاحب غريب الحديث وهذا الأثر ذكره العراقي في فتح المغيث 2/6 وغيره. أما من عداهم فيلزم التأكد من أهليتهم، وذلك بالرجوع إلى كلام أئمة هذا الفن. والأصح أنه يكتفى في الجرح والتعديل بالواحد من الأئمة المعتبرين، حيث إن أصل الرواية يقبل فيها الواحد، فكذلك فرعها الذي هو أهلية الراوي أو عدمها. والصحيح أن التعديل يقبل ولو لم يذكر سببه، لأن أسبابه كثيرة، بخلاف الجرح فلا يقبل إلا مُفسِّراً حيث أن الناس يختلفون في أسباب الرد، فقد يعتبر بعضهم ما ليس بجرح جارحا كما روي أن شعبة ترك حديث رجل لأنه رآه يركض على بردون. وقيل للحكم بن عتيبة لم ترو عن زاذان؟ قال: كان كثير الكلام، ذكر ذلك العراقي في فتح المغيث وغيره كما ذكر ذلك ابن الصلاح في مقدمته ص 140 والعراقي في شرح ألفيته 2/10، وغيرهما. ولكن إذا كان الجرح من ذوي العلم والنظر في أحوال الناس، فالأرجح الاكتفاء بجرحه وإن لم يذكر سببا؛ وعلى ذلك سار الأئمة في مؤلفاتهم غالبا انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص 141 وشرح العراقي عليه. ثم إذا تعارض الجرح والتعديل قدم المفسر منهما، فإن كانا مبهمين فالصحيح تقديم الجرح، لأن الجرح اطلع على ما خفي على المعدل الذي إنما ينظر إلى الظاهر، وإن كانا مفسرين وكل منهما نفى ما أثبتته الآخر، رجح إلى الترجيح لمن هو أتم معرفة واطلاعا على أحوال الرواة، ونحو ذلك.